معلقة امرئ القيس

١ قِفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ[١]

---

١ قيل : خاطب صاحبيه ، وقيل بل خاطب واحداً وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع الاثنين ، لأن العرب من عادتهم إجراء خطاب الاثنين على الواحد والجمع ، فمن ذلك قول الشاعر :

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر ، وإن ترعياني أحمِ عرضاً ممنعا

خاطب الواحد خطاب الاثنين ، وإنما فعلت العرب ذلك لأن الرجل يكون أدنى أعوانه اثنين : راعي إبله وراعي غنمه ، وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة ، فجرى خطاب الاثنين على الواحد لمرور ألسنتهم عليه ، ويجوز أن يكون المراد به : قف قف ، فإلحاق الألف أمارة دالة على أن المراد تكرير اللفظ كما قال أبو عثمان المازني في قوله تعالى : « قال رب ارجعون » المراد منه : أرجعني أرجعني أرجعني ، جعلت الواو علماً مشعراً بأن المعنى تكرير اللفظ مراراً ، وقيل : أراد قفن على جهة التأكيد فقلب النون ألفاً في حال الوصل ، لأن هذه النون تقلب ألفاً في حال الوقف ، فحمل الوصل على الوقف ، ألا ترى أنك لو وقفت على قوله تعالى : « لنسفعن » قلت : لنسفعا ؟ ومنه قول الأعشى :

وصل على حين العشيات والضحى ولا تحمد المثرين والله فاحمدا

أراد فاحمدن فقلب نون التأكيد ألفاً ، يقال بكى يبكي بكاء وبكى ، ممدوداً ومقصوراً ، أنشد ابن الأنباري لحسان بن ثابت شاهداً له :

بكت عيني وحق لها بكاها ، وما يغني البكاء ولا العويل

فجمع بين اللغتين ؛ السقط منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه ، والسقط أيضاً ما يتطاير من النار ، والسقط أيضاً المولود لغير تمام ، وفيه ثلاث لغات : سَقط وسِقط وسُقط في هذه المعاني الثلاثة . اللوى : رمل يعوج ويلتوي . الدخول وحومل : موضعان . يقول قفا وأسعداني وأعيناني ، أو قف وأسعدني على البكاء عند تذكري حبيباً فارقته ومنزلا خرجت منه ، وذلك المنزل أو ذلك الحبيب أو ذلك البكاء بمنقطع الرمل المعوج بين هذين الموضعين .